

السيرة النبوية

للأشبال

العهد المكي (٢)

تأليف

د. محمد مصطفى الشيخ

الفصل الرابع: موقف قريش من دعوة النبي

وقفت قريش موقفًا مُعاديًا لدعوة الرسول ﷺ، كما فعلَ مع الرسل السابقين أقوامُهُمْ. وكأنهم اتفقوا - رغم تباعد العصور - على ذلك الموقف! قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ [الذاريات: ٥٢-٥٣].

وتخبرنا كتبُ السيرة كيف سَلَكَتْ قريشُ كُلَّ مَسَلِكٍ لِلصَّدِّ عَنْ هذه الدعوة. استخدموا في ذلك الترغيبَ والترهيبَ.

مساومة قريش للنبي ﷺ

لقد حاول المشركون **مساومة الرسول ﷺ** بشتى الطرق، مثل إغرائه ﷺ بالمال والجاه، ليركَّ بعضُ الحقِّ الذي جاء به: ﴿فَلَا تُطِيعِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ ﴿٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَدَّهِنُ فَيْدَهُنَّوْبَ ﴿٩﴾ [القلم: ٨-٩] أي ودُّوا لو تُوافِقُهُمْ على بعض ما هم عليه، إما بالقول أو الفعل أو بالسكوت. ولولا تثبيت الله لنبیه، لقد كاد الكفار أن يفتنوه: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ

خَلِيلًا ﴿٧٢﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا
لَا ذَقْنُكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾
وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ
خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا
تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٧].

ولهذا أمره سبحانه أَنْ يُعْلِنَهَا عَالِيَةً: ﴿قُلْ يَتَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾
لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا
عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون].
وتروي كتب السير أيضًا محاولاتهم مع عمه أبي طالب ليشنيه عن
دعوته ﷺ أو يتخلى عن حمايته، لكنه رفض ذلك.

افتراء قريش واستهزاؤهم وتعنتهم وطلبهم الآيات

لقد كان موقفُ قريشٍ هو العناد والاستكبار عن دعوة النبي، واتبَعوا شتى الأساليب للصدِّ عن دعوته، ومن أجل ذلك كانوا يفترون عليه بالباطل، فيصفونه بالسَّحَرِ والجنون والكذب تارة، وكانوا يستهزئون به تارة، وكانوا يتواصون بالإعراض عن الذكرِ واللغو فيه تارة، وكانوا يطلبون الآياتِ المعجزةَ تارة أخرى، وبين أيديهم الآيةُ الكبرى، القرآنُ الكريمُ، الذي لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، ولا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه.

وكانوا يعارضون القرآن ويلغون فيه للصد عن سبيل الله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]. وكانوا يسبون القرآن، كما روى ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الكهف: ١١٠] قال: نزلتُ ورسولُ الله ﷺ مُحْتَفٍ بِمَكَّةَ؛ كان إذا صَلَّى بأصحابه رفعَ صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه: ﴿وَلَا تَجْهَرْ

بِصَلَاتِكَ ﴿١٠٧﴾ أَيِ بَقْرَاءَتِكَ، فَيَسْمَعُ الْمُشْرِكُونَ فَيَسُبُّوا الْقُرْآنَ، ﴿١٠٨﴾ وَلَا تُخَافَتْ بِهَا ﴿١٠٩﴾ عَنْ أَصْحَابِكَ فَلَا تُسْمِعُهُمْ، ﴿١١٠﴾ وَأَبْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١١﴾ [متفق عليه]. وفي المقابل، نهى الله تعالى المؤمنين عن سب أهتهم، لئلا يكون ذريعة لسب الله تعالى: ﴿١١٢﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴿١١٣﴾ [الأنعام: ١٠٨].

وقد ذكر الله أساليبهم وحججهم الواهية في آيات كثيرة، حتى نتعلمها ونعيها ونحذر منها، فالكفار - كما ذكرنا - مله واحدة، ومحاربتهم لدين الإسلام لا تفتّر.

قال تعالى: ﴿١١٤﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخِرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١١٦﴾ أَكُتِبَتْهَا فِيهِ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿١١٧﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١١٨﴾ وَقَالُوا مَا لِي هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿١١٩﴾ أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿١٢٠﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿١٢١﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ

لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ جَنَّتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَتَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ [الفرقان: ٤-١١].

وقال تعالى: ﴿ص وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ ﴿١٠﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلا تَحِثْ بِمَنَاصِرِ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَأَصْبَرُوا عَلَىٰ إِلَهِتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ﴿٧﴾ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴿١٠﴾ جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ [ص: ١-١١] ثم بين سبحانه أن هذا شأن المكذبين من قبل.

وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلِمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا

صَدِيقِينَ ﴿٢٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٢٥﴾ أَمْ خُلِقُوا
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٢٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ
 الْمُصِيطِرُونَ ﴿٢٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ
 ﴿٢٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٢٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُثْقَلُونَ
 ﴿٣٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٣١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ
 الْمَكِيدُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِنْ يَرَوْا
 كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٣٤﴾ [الطور: ٢٩-٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ
 يَنْبُوعًا ﴿١﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا
 تَفْجِيرًا ﴿٢﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بَالِلًا
 وَالْمَلَكَةِ قَبِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ
 نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا
 بَشَرًا رَسُولًا ﴿٤﴾ [الإسراء: ٩٠-٩٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ
 قَدَّرَ ﴿٣﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٤﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٥﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٦﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا

إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ [المدثر: ١٨ - ٢٦].

وَمِنْ اسْتَهْزَائِهِمْ مَا أَخْبَرَ بِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢١﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَفِظِينَ ﴿٢٥﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٢٦﴾ عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٧﴾ هَلْ ثَوْبَ الْكُفَّارِ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين: ٢٩-٣٦].

ولم يكن الرسول ﷺ يستجيب لتعتيهم، ولم يأتهم بالآيات إلا ما أذن الله به، قطعاً لعذرهم وإقامة للحجة عليهم. إذ لم يكن طلبهم إلا على وجه العناد، لا على وجه الهدى والرشاد: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ ءَايَةٌ لِّيُؤْمِنَنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٩﴾﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ إِلَيْهِمُ الْمَلٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَكْثَرُهُمْ سٰٓجِدُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنعام: ١٠٩-١١١]، ﴿وَمَا مَنَعَنَا

أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ [الإسراء: ٥٩].

إِنَّ فِي **معجزة القرآن** كفاية للذين يريدون الهداية: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

وَمِنْ أَعْظَمِ الْآيَاتِ الَّتِي وَقَعَتْ **انشقاق القمر**؛ فعن أنس: أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمْ انشِقَاقَ الْقَمَرِ. وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: انشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَقَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اشْهَدُوا» [متفق عليه].
وكذلك **معجزة الإسراء والمعراج**، وسيأتي الحديث عنها.

اشتداد إيذاء قريش للنبي وأصحابه

لقد اشتد أذى قريش للنبي وأصحابه. فهذا **ابن مسعود** يحكي لنا: بينما رسولُ الله ﷺ يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحابُ له

جُلوس، وقد نُحِرَتْ جَزورٌ^(١) بالأمس، فقال أبو جهل: أَيُّكُمْ يَقُومُ
إِلَى سَلا^(٢) جَزور بني فلان، فَيَأْخُذُهُ فَيَضَعُهُ فِي كَتِفِي مُحَمَّدٍ إِذَا
سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشَقَى الْقَوْمِ^(٣) فَأَخَذَهُ، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ، وَضَعَهُ
بَيْنَ كَتْفَيْهِ، فَاسْتَضَحَّكُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَى بَعْضٍ، وَأَنَا
قَائِمٌ أَنْظُرُ، لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ^(٤) طَرَحْتُهُ عَنْ ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
وَالنَّبِيُّ ﷺ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى انْطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ،
فَجَاءَتْ وَهِيَ جَوِيرِيَّةٌ^(٥) فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ، ثُمَّ أَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَشْتُمُهُمْ.

فَلَمَّا قَضَى النَّبِيُّ ﷺ صَلَاتَهُ، رَفَعَ صَوْتَهُ ثُمَّ دَعَا عَلَيْهِمْ، وَكَانَ إِذَا
دَعَا دَعَا ثَلَاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقَرِيشٍ»
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمْ الضَّحْكُ، وَخَافُوا

(١) أَي نَاقَةٍ.

(٢) السَّلا: اللَّفَافَةُ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْوَلَدُ فِي بَطْنِ النَّاقَةِ، وَهِيَ مِنَ الْآدَمِيَّةِ

الْمَشِيمَةِ.

(٣) هُوَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ كَمَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ.

(٤) أَي عِزٍّ وَقُوَّةٍ.

(٥) أَي صَغِيرَةٍ.

دعوته، ثم قال: «اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعُتْبَةُ ابن ربيعة، وشَيْبَةُ بن ربيعة، والوليد بن عُتْبَةَ، وأمِّيَّة بن خَلَف، وعُقبَةُ بن أبي مُعَيْط» - وذكر السابع ولم أحفظه - فوالذي بعث محمدا ﷺ بالحق، لقد رأيتُ الذين سَمَّى صَرعى يوم بدر، ثم سُحبوا إلى القليب - قليب بدر^(١) [متفق عليه].

وقال ابن عباس: قال أبو جهل: لئن رأيتُ محمداً يُصَلِّي عند الكعبة لأطأَنَّ على عنقه، فبلغ النبي ﷺ فقال: «لو فعله لأخذته الملائكة» [البخاري].

وفي حديث أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يُعَفَّرُ^(٢) محمد وجهه بين أظهركم؟! ف قيل: نعم، فقال: واللاتِ والعُزَّى لئن رأيته يفعلُ ذلك لأطأَنَّ على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب. فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي - زعم - ليطأ على رقبته، فما فجأهم

(١) القليب البئر.

(٢) أي يُلصق وجهه بالعفر وهو التراب، يعني حين يسجد.

منه إلا وهو يَنْكِصُ على عقبه^(١) ويتقي يديه، فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة، فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لا ختطفته الملائكة عُضْوًا عُضْوًا». فأنزل الله عز وجل - لا ندري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه - : ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ۚ﴾ (١) ﴿أَن رَّاهُ أَسْتَغْنَى ۖ﴾ (٢) ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۚ﴾ (٣) ﴿أَرَأَيْتَ أَذَىٰ يَنْهَىٰ ۖ﴾ (٤) ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۚ﴾ (٥) ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَىٰ الْهُدَىٰ ۖ﴾ (٦) ﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ۖ﴾ (٧) ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۖ﴾ (٨) ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ۖ﴾ (٩) - يعني أبا جهل - ﴿كَلَّا لَئِنْ لَّمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۖ﴾ (١٠) ﴿نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۖ﴾ (١١) ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ۖ﴾ (١٢) ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ۖ﴾ (١٣) ﴿كَلَّا لَا تَطِعُهُ وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ۖ﴾ (١٤) [العلق: ٦-١٩] [مسلم].

وعن **عروة بن الزبير** قال: سألت **ابن عمرو بن العاص**: أخبرني بأشد شيء صنعته المشركون بالنبي ﷺ؟ قال: بينا النبي ﷺ يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عتبة بن أبي مُعَيْط، فوضع ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه، ودفعه عن

(١) أي رجع يمشي على ورائه.

النبي ﷺ، قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ الآية [غافر: ٢٨]
[البخاري].

وكانت امرأة أبي لهب تشاركه في أذى النبي ﷺ وأصحابه، فأنزل
الله فيهما قرآنا يتلى إلى يوم القيامة.

ورويت أخبار كثيرة في إيذاء قريش للمسلمين.

يقول **خباب بن الأرت**: شَكَّوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وهو مُتَوَسِّدٌ
بُرْدَةً^(١) له في ظل الكعبة - قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟
قال: «كان الرجلُ فيمن قبلكم يُخَفِّرُ له في الأرض، فيُجعل فيه،
فيُجاءُ بالمنشار فيوضعُ على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن
دينه، ويُمَشِّطُ بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب،
وما يصده ذلك عن دينه. والله ليُتِمَّنَّ هذا الأمر، حتى يسيرَ
الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت، لا يخافُ إلا الله، أو الذئبَ على
غنمه، ولكنكم تستعجلون» [البخاري].

(١) مستند إلى بردة وهي كساء يُلتحف به.

وعن **خباب** أيضا قال: كنتُ قَيْنًا^(١) في الجاهلية، وكان لي على العاص بن وائل دين^(٢)، فأتيتُه أتقاضاه، قال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ﷺ، فقلتُ: لا أكفرُ حتى يميّتك الله ثم تُبعث، قال: دعني حتى أموت وأبعث، فسأوتني مالا وولدا فأقضيك، فنزلتُ: ﴿أَفْرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۚ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٧٧-٧٨] [متفق عليه].

وقد تقدمت قصة إسلام **أبي ذر**، وفيها أنه ”خرج حتى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ثم قام القوم فضربوه حتى أضجعوه، وأتى العباس فأكب عليه^(٣)“ [متفق عليه].

ولهذا عَذَرَ الله تعالى المستضعفين من المؤمنين وأنزلَ لهم الرُّخصة، كما قال تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ

(١) حدّادًا.

(٢) أجرة سيف كان قد صنعه له.

(٣) أي أقبل عليه يقيه.

أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ
غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ [النحل: ١٠٦].

فكروا جواب



(١) من أساليب قريش في مواجهة دعوة الرسول ﷺ

أسلوب الترغيب، فما المقصود بذلك؟

(٢) لماذا نزلت سورة الكافرون؟

(٣) ماذا حاولت قريش مع أبي طالب عم النبي ﷺ؟ وماذا كانت النتيجة؟

(٤) أنزل الله تعالى على نبيه أن لا يجهر بصلاته عاليا ولا يخافت بها، فلماذا؟

(٥) تعجب الكفار من الأمور التالية، فما الرد عليهم؟

أ. كون الرسول بشرا يأكل الطعام ويمشي في الأسواق

ب. عدم نزول الملائكة عليهم

ج. عدم امتلاك الرسول القصور والكنوز والجنان

د. جعل النبي الآلهة المتعددة إلهها واحدا

(٦) ذكر الله في سورة المطففين استهزاء المجرمين من المؤمنين، فما عاقبتهم؟

(٧) هل كانت استجابة الرسول ﷺ للمشركين في الإتيان بالآيات نافعة لهم؟

(٨) اذكر أهم المعجزات التي جاء بها النبي ﷺ لقريش.

(٩) لقي رسول الله ﷺ الأذى من أقرب الناس إليه. اذكر أمثلة على ذلك؟

(١٠) تعرض أصحاب الرسول ﷺ للأذى، فماذا كان يأمرهم؟

الفصل الخامس: الهجرة إلى الحبشة

بالرغم من اشتداد أذى قريش بالمسلمين، إلا إنهم كانوا مأمورين بكف أيديهم والصبر والصفح والإعراض عن المشركين، حتى يجعل الله لهم مخرجاً.

إن الصحابة رضوان الله عليهم أشجع العرب، ونبينا ﷺ أشجع الخلق، وكانوا يحسنون القتال ولا يخافون الموت. لكن هذه **المرحلة** كان لا بد فيها من بذل الجهد كله في بيان حقيقة الدعوة الجديدة، حتى يعرفها الناس ويعلموا أنها دعوة إلى الحق من عند الله، ولا يخلطوا بينها وبين الدعوات الأرضية التي تكون من أجل الجاه والمنصب أو المال أو سائر المصالح الشخصية. فإذا صبر المسلمون على الأذى والاضطهاد علمت العرب أنهم أصحاب دين وأصحاب قضية. إضافة إلى أن ميزان القوة لم يكن متكافئاً، حيث المسلمون قلة لا يمكن أن يقفوا في وجه طغاة قريش. وهذا درس بليغ لكل الدعوات الإسلامية التي تقتفي هدي الرسول ﷺ وستته.

فلما اشتدَّ الأذى بالمسلمين في مكة، أمرهم الرسول ﷺ بالهجرة إلى الحبشة. ولم يرجعوا حتى هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة [البخاري].

وكانت **أُمّ حبيبة وأُمّ سلمة** ممن هاجر. وقد ذكّرتا للرسول ﷺ كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير^(١)، فقال: «إنَّ أولئك إذا كان فيهم الرجلُ الصالحُ فمات، بنوا على قبره مسجداً، وصوّروا فيه تيك الصور، أولئك شرارُ الخلق عند الله يومَ القيامة» [متفق عليه].

وعن **أُمّ خالد بنت خالد** قالت: قدّمتُ من أرض الحبشة وأنا جُويرية، فكساني رسولُ الله ﷺ خيصة^(٢) لها أعلام^(٣)، فجعلَ رسولُ

(١) الله سبحانه هو المصور، فهو الذي صور جميع المخلوقات ورتبها فأعطى كل واحد منها صورة خاصة وهيئة مفردة يتميز بها بالرغم من اختلافها وكثرتها. فالتصوير هو إنشاء هيئة للمخلوق باستخدام قلم أو ريشة أو نحت أو غيره بحيث تماثل صورته الحقيقية (يراجع لسان العرب). وليس التصوير في كلام الله ورسوله المقصود به التقاط الهيئة (الصورة) الحقيقية بواسطة آلة معينة لتنطبع على ورق أو ذاكرة أو نحوه.

(٢) ثوبٌ مربع من حرير أو صوف.

(٣) خطوط.

الله ﷺ يمسحُ الأعلامَ بيده ويقول: «سَنَاه سَنَاه» قال الحميدي:
يعني حسن حسن [البخاري].

ويحكي **ابن مسعود** قائلا: كُنَّا نَسَلِّمُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَصِلِي
فِرْدُ عَلَيْنَا، فَلَمَّا رَجَعْنَا مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِيِّ، سَلَّمْنَا عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدِّ
عَلَيْنَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا نُسَلِّمُ عَلَيْكَ فَتَرُدُّ عَلَيْنَا؟ قَالَ: «إِنْ
فِي الصَّلَاةِ شُغْلًا» [متفق عليه].

وكان ممن سعى للهجرة **أبو بكر الصديق**. فعن عائشة رضي الله
عنها قالت: لم أعقل أَبَوَيَّ قَطُّ إِلَّا وَهُمَا يَدِينَانِ الدِّينَ^(١)، ولم يَمُرَّ
عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ طَرَفِي النَّهَارِ، بُكْرَةً وَعَشِيَّةً.

فلما ابْتَلِيَ الْمُسْلِمُونَ، خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجِرًا قَبْلَ الْحَبْشَةِ، حَتَّى إِذَا
بَلَغَ بَرَكَ الْغِمَادِ^(٢)، لَقِيَهُ **ابْنُ الدَّغِنَةِ**، وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ^(٣)، فَقَالَ: أَيْنَ

(١) أي يدينان بالإسلام.

(٢) موضعٌ بأقاصي هَجَرَ، وقيل باليَمَامَةِ، وهو موضع أيضا باليمن.

(٣) قبيلة مشهورة من بني الهُؤن بن خزيمَة بن مدركة بن إلياس بن مضر،
وكانوا حلفاء بني زهرة من قريش، وكانوا يضرب بهم المثل في قوة الرمي.

تريدُ يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي، فأنا أريد أن أسيح^(١) في الأرض، فأعبدَ ربي. قال ابن الدغنة: إن مثلك لا يخرج ولا يُخرج، فإنك تكسبُ المعدوم، وتصلُ الرحم، وتحملُ الكلَّ، وتقري الضيف، وتعينُ على نوائب الحق. وأنا لك جارٌّ^(٢)، فارجع فاعبُد ربَّك ببلاذك.

فارتحل ابنُ الدَّغْنَةِ، فرجع مع أبي بكر، فطافَ في أشراف كفار قريش، فقال لهم: إنَّ أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج، أخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكل، ويقري الضيف، ويعين على نوائب الحق؟ فأنفذت قريشُ جِوَارَ ابن الدغنة، وآمنوا أبا بكر، وقالوا لابن الدغنة: مُر أبا بكر فليعبُد ربَّه في داره، فليُصلِّ، وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك، ولا يستعلن به، فإننا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا.

(١) أسير.

(٢) مجير ممن يظلمك أو يعتدي عليك.

فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فطَفِقَ أبو بكر يعبدُ ربَّه في داره،
ولا يَسْتَعْلِنُ بالصلاة ولا القراءة في غير داره.

ثم بدا لأبي بكر، فابتنى مسجداً بفناء داره، وبرَزَ، فكان يُصَلِّي فيه، ويقرأ القرآن، فَيَتَقَصِّفُ^(١) عليه نساء المشركين وأبنائهم، يعجبون وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بَكَّاءً، لا يملك دمه حين يقرأ القرآن.

فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم، فقالوا له: إِنَّا كُنَّا أَجْرُنَا أبا بكر على أن يعبد ربَّه في داره، وإنه جاوز ذلك، فابتنى مسجداً بفناء داره، وأعلن الصلاة والقراءة، وقد خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ أبنَاءنا ونساءنا، فَأُتِيه، فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْتَصِرَ على أن يعبد ربَّه في داره فَعَلْ، وَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلِنَ ذلك، فَسَلْهُ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتْكَ، فَإِنَّا كَرِهْنَا أَنْ نَخْفِرَكَ^(٢)، وَلَسْنَا مُقَرَّرِينَ لأبي بكر الاستعلان.

(١) يزدهم.

(٢) نقض عهدك.

فأتى ابنُ الدَّغْنَةِ أبا بكر فقال: قد علمتَ الذي عَقَدْتُ لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن تَرُدَّ إِلَيَّ ذمتي، فإني لا أحب أن تسمعَ العربُ أني أخفرتُ في رجل عَقَدْتُ له. قال أبو بكر: إني أُرَدُّ إِلَيْكَ جِوَارِكُ، وأرضى بجوار الله. ورسولُ الله ﷺ يومئذ بمكة. فقال رسول الله ﷺ: «قد أُرِيتُ دارَ هِجْرَتِكُمْ...» الحديث [البخاري]. وسيأتي تكملته عند ذكر الهجرة النبوية.

وعن **أبي موسى الأشعري** قال: بَلَّغَنَا مَخْرَجُ النَّبِيِّ ﷺ (١) ونحن باليمن، فخرجنا مهاجرين إليه أنا وأخوان لي أنا أصغرهم، أحدهما أبو بُرْدَةَ، والآخر أبو رُهم، إما قال: في بضع، وإما قال: في ثلاثة وخمسين، أو اثنين وخمسين رجلاً من قومي، فركبنا سفينة، فألقنا سفينتنا إلى النجاشي بالحبشة، فوافقنا **جعفر بن أبي طالب**، فأقمنا معه حتى قَدِمْنَا جميعاً، فوافقنا النبي ﷺ حين افتتح خيبر.

وكان أناسٌ من الناس يقولون لنا - يعني لأهل السفينة - : سبقناكم بالهجرة.

(١) أي مبعثه ﷺ.

وَدَخَلَتْ **أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ** - وهي ممن قَدِمَ معنا - على حفصة زوج النبي ﷺ زائرة، وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر، فدخل عُمَرُ على حفصة، وأسماء عندها، فقال عمر حين رأى أسماء: مَنْ هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس، قال عمر: ألحبشية هذه ألبحرية هذه؟ قالت أسماء: نعم، قال: سبقناكم بالهجرة، فنحن أحق برسول الله ﷺ منكم. فغَضِبَتْ وقالت: كلا والله، كنتم مع رسول الله ﷺ، يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ، وَيَعِظُ جَاهِلَكُمْ، وَكُنَّا فِي دَارٍ - أو في أرضٍ - البُعْدَاءِ البُغْضَاءِ بالحبشة، وذلك في الله وفي رسوله ﷺ، وَإِيْمُ اللَّهِ^(١) لَا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَذْكَرَ مَا قُلْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَحْنُ كُنَّا نُؤْذِي وَنَخَافُ، وَسَأَذْكَرُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَسْأَلُهُ، وَاللَّهِ لَا أَكْذِبُ وَلَا أَزِيغُ، وَلَا أَزِيدُ عَلَيْهِ.

فلما جاء النبي ﷺ قالت: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، إِنَّ عُمَرَ قَالَ كَذَا وَكَذَا. قَالَ: «فَمَا قُلْتَ لَهُ؟» قالت: قُلْتُ لَهُ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي

(١) هو قَسَمٌ، ويقال بالهمز وبالوصل.

منكم، وله ولأصحابه هجرةٌ واحدة، ولكم أنتم - أهل السفينة - هجرتان».

قالت: فلقد رأيتُ أبا موسى وأصحابَ السفينة يأتوني أرسالاً^(١)، يسألوني عن هذا الحديث، ما من الدنيا شيءٌ هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم النبي ﷺ. قالتُ أسماء: فلقد رأيتُ أبا موسى وإنه ليستعيدُ هذا الحديثَ مِنِّي [متفق عليه].

ولما ماتَ **النجاشيُّ** نعاه رسولُ الله ﷺ إلى أصحابه. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ نعى لهم النجاشيَّ صاحبَ الحبشة، في اليوم الذي مات فيه، وقال: «استغفروا لأخيكم» [متفق عليه]. وروى جابر أنه قال: «مات اليومَ رجلٌ صالح، فقوموا فصلوا على أخيكم أَصْحَمَةَ» [متفق عليه]. وذكر جابر أن النبي ﷺ صلى عليه، فصَفَّهم وراءه، فكان جابر في الصف الثاني أو الثالث، وكَبَّرَ عليه أربعاً [متفق عليه].

(١) وفودا متتابعة.

فكّروا أجب



- (١) إزاء ما تعرض له المسلمون من الأذى، هل أمروا
برد العدوان أم أمروا بالصبر؟ هات من الآيات ما
يدلل على ما ذكرت.
- (٢) هل تعرف من الصحابييات اللاتي هاجرن إلى الحبشة؟ وماذا رأيّن هناك؟
- (٣) ماذا كان يُسمّى ملك الحبشة؟ وكيف عامل المسلمين؟
- (٤) أراد أبو بكر أن يهاجر إلى الحبشة، فلماذا؟ وما الذي أثناه عن ذلك؟
- (٥) وقف ابن الدغنة - رغم كفره - موقفا طيبا مع أبي بكر، فما هو؟
- (٦) اشترط المشركون على ابن الدغنة وأبي بكر أن لا يصلي أمام الناس، فلماذا؟
وماذا فعل أبو بكر؟
- (٧) لم يهاجر المسلمون الذين كانوا بالحبشة مع المهاجرين الذين هاجروا من مكة
إلى المدينة. فهل يستحقون ثوابهم؟
- (٨) استغفر الرسول ﷺ للنجاشي لما مات وصلى عليه، فماذا تفهم من ذلك؟

الفصل السادس: بين الهجرة والإسراء

سورة النجم

في أعقابِ الهجرةِ الأولى إلى الحبشة، حَدَّثَ أَنَّ قرأ رسولُ الله ﷺ سورةَ النَّجْمِ في البيتِ الحرام. فعن **عبد الله بن مسعود** أَنَّ النبي ﷺ قرأ سورةَ النَّجْمِ، فسجدَ بها، فما بقي أحدٌ من القومِ إلا سَجَدَ، فأخذ رجلٌ منَ القومِ كَفًّا من حَصَى - أو تراب - فرفَعَه إلى وجهه وقال: يكفيني هذا؛ فلقد رأيته بعدُ قُتِلَ كَافِرًا [متفق عليه]. وعن **ابن عباس** أَنَّ النبي ﷺ سجد بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجنُّ والإنسُ [البخاري].

إسلام عمر بن الخطاب

وَيَذْكُرُ أَهْلُ السِّيَرِ أَنَّ **عمر بن الخطاب** أسلمَ بعد هجرة الحبشة. وكان عُمَرُ ذا قُوَّةٍ وَهِيَّةٍ وبأس. وكان سعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل - ابن عم عمر وزوج أخته فاطمة بنت الخطاب - يقول في مسجد الكوفة: لو رأيتني مُوثَّقِي عُمَرُ على الإسلام، أنا وأختي، وما أسلمَ [البخاري].

ويروي لنا ابنُه عبد الله بن عمر: لما أسلمَ عمر، اجتمع الناسُ عند داره وقالوا: صَبَا عمر^(١)، وأنا غلامٌ فوق ظهر بيتي، فجاء رجلٌ عليه قَبَاءٌ من ديباج^(٢)، فقال: قد صبا عمر، فما ذاك؟! فأنا له جازٌ. فرأيتُ الناسَ تَصَدَّعُوا عنه^(٣)، فقلتُ: مَنْ هذا؟ قالوا: **العاص** **ابن وائل** [البخاري].

وكما كان عمر ذا بأسٍ في الجاهلية، فقد صار في الإسلام قوياً في الحق شديداً على أهل الكفر والعناد؛ قال **ابن مسعود**: ما زلنا أعزَّةً منذ أسلم عمر [البخاري].

(١) أي صَبَا، بمعنى خرج عن دين قومه ودخل في الدين الجديد دين الإسلام.
 (٢) القباء ثوب يلبس فوق الثياب، والديباج نوع من الثياب نسجُه من الحرير الخالص.
 (٣) أي تفرقوا عنه.

حصار الشَّعب

وقد دخل بنو هاشم **شُعْبَ أَبِي طَالِب**^(١) وحاصرتهم قريش فيه ثلاث سنين. عن أبي هريرة قال: قال لنا رسول الله ﷺ ونحن بِمِنَى: «نحن نازلون غدا بخَيْفِ بني كِنانة^(٢)، حيث تقاسموا على الكفر»، وذلك أَنَّ قريشًا وبني كِنانة تحالَفَتْ على بني هاشم وبني المطلب أَنَّ لا يُناكِحُوهم ولا يبايعُوهم، حتى يُسَلِّمُوا إليهم رسول الله ﷺ - يعني بذلك المَحْصَب^(٣) - [متفق عليه].

-
- (١) الشَّعب هو الفرجة النافذة بين جبلين أو الطريق في الجبل.
- (٢) مكان في أعلى مكة على طريق منى وهو المَحْصَب. والحَضْبَةُ والمَحْصَب والأبطح والبطحاء وخَيْف بني كِنانة اسم لشيء واحد، وأصل الخيف كل ما انحدر من الجبل وارتفع عن المسيل.
- (٣) المكان الذي تحالفوا فيه على إخراج النبي ﷺ وكتبوا الصحيفة على مقاطعة بني هاشم والمطلب.

القحط والدخان

وقد استمر استهزاء المشركين برسول الله وأصحابه ﷺ، وقد كفاه الله ذلك، قال تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ [الحجر: ٩٤-٩٥].

عن ابن مسعود قال: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لما رأى من الناس إِدْبَارًا، قال: «اللهم سبعٌ كسبِ يوسف»، فأخذتهم سنةٌ حصّت كلَّ شيءٍ، حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف، وينظرُ أحدهم إلى السماء، فيرى الدخان من الجوع، فأتاه أبو سفيان فقال: يا محمد، إنك تأمر بطاعة الله، وبصلة الرحم، وإنَّ قومَكَ قد هلكوا، فادع الله لهم، قال الله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُّبِينٍ - إِلَى قَوْلِهِ - إِنَّا نَكْمُرُ عَائِدُونَ﴾ ﴿١٦﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴿١٧﴾ [الدخان: ١٠-١٦]، فالبطشة: يوم بدر، وقد مَضَتْ الدخان والبطشة واللزام وآية الروم^(١) [متفق عليه].

(١) أي وقع ما ذكر من الوعيد في آيات سورة الدخان المذكورة في القحط الذي أصابهم (الدخان) والهزيمة يوم بدر (البطشة). واللزام المذكور في قوله تعالى =

وفي رواية: قال الله عز وجل: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴿، فدَعَوْا: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ﴾ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴿ أَفِيُكْشَفُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قال: فكُشِفَ ثم عادوا في كفرهم، فأخذهم الله يوم بدر، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾.

وفاة أبي طالب

وما إن غادر بنو هاشم شِعْبَ أَبِي طَالِبٍ حَتَّى أَصِيبَ النَّبِيُّ ﷺ بِوفاة عمه أبي طالب.

عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حَضَرَتْ **أَبَا طَالِبٍ** الوفاة، جاءه رسولُ الله ﷺ، فَوَجَدَ عنده أَبَا جَهْلٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بنَ أَبِي أُمَيَّةِ ابنِ المغيرة، فقال: « أَيُّ عَمِّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ

= ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: ٧٧] معناه القتل وقد وقع يوم بدر، وآية الروم ما ذكر من غلبة الفرس للروم وأن الروم ستغلبهم في بضع سنين.

الله». فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: أترغبُ عن مِلَّةِ عبد المطلب؟ فلم يزل رسولُ الله ﷺ يعرضُها عليه، ويُعيدانه بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخرَ ما كَلَّمَهُمْ: على مِلَّةِ عبد المطلب، وأبى أن يقول لا إله إلا الله.

قال رسولُ الله ﷺ: «والله لأستغفرنَّ لك ما لم أُنَّه عنك»، فأنزل الله: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]، وأنزل الله في أبي طالب، فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦] [متفق عليه].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أنه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ، وذَكَرَ عنده عُمُّهُ أبو طالب، فقال: «لعلَّ تنفعُهُ شفاعتي يوم القيامة، فيُجعل في ضَحْضَاحٍ^(١) من النار يبلغُ كعبيه، يغلي منه أُمُّ دماغه» [متفق عليه]. وقد سأل العباسُ رسولَ الله ﷺ فقال: ما أغنيت

(١) هو الموضع القريب القعر، وهو ما رَقَّ من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين، واستعير في النار. والمعنى أنه خفف عنه شيء من العذاب.

عن عَمِّكَ، فإنه كان يحوطُك ويغضبُ لك؟ قال: «هو في ضحضاحٍ من نار، ولولا أنا لكان في الدَّرَكِ الأسفل من النار» [البخاري].

وفاة خديجة رضي الله عنها

ثم توفيت خديجة زوج رسول الله ﷺ. عن هشام بن عروة عن أبيه قال: توفيت خديجة قبل مخرج النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين، فلبث سنتين أو قريباً من ذلك، ونكح عائشة وهي بنت ست سنين، ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين.

رحلة الطائف - بداية تأسيس الدولة

لقد ضاق الأمر بالمسلمين، فاملاً في مكة مُصْرُّون على مواقفهم، والمسلمون مُوزعون بين الحبشة مُهْجَرِينَ، وبين مكة مضطهدين، فكان لا بد من البحث عن مكان جديد تنطلق منه الدعوة.

وهذه المرحلة تعد مرحلة السعي لتأسيس الدولة، والتي ستتوج بالهجرة وإقامة دولة الإسلام في المدينة.

طافَ رسولُ الله ﷺ بالقبائلِ يَعْرِضُ عليهم دعوة الإسلام. وأقربُ القبائلِ إليه ثقيفُ بالطائف. فانطلق إليهم، ودعاهم إلى الإسلام، وكلمهم بما جاءهم له مِنْ نُصْرَتِهِ على الإسلام، والقيامِ معه على مَنْ خالفه مِنْ قومه.

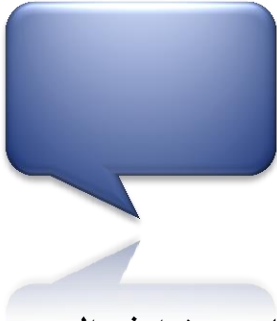
لكنه ﷺ لقي منهم أشدَّ ما لقي في دعوته من الأذى.

فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يومٌ كان أشدَّ مِنْ يومِ أُحُدٍ؟ قال: «لقد لقيتُ من قومِك ما لقيت، وكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يومَ العَقَبَةِ، إذ عَرَضْتُ نفسي على ابنِ عبدِ يالِيلِ بنِ عبدِ كلال، فلم يُجِبْنِي إلى ما أردتُ، فانطلقتُ وأنا مهمومٌ على وجهي، فلم أستَفِقْ إلا وأنا بِقَرْنِ الثعالِبِ^(١)، فرفعتُ رأسي فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلَّتْنِي، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ، فناداني فقال: إنَّ اللهَ قد سَمِعَ قولَ قومِك لك، وما رَدُّوا عليك، وقد بَعَثَ إليك ملكَ الجبال لتأمره بما شئتَ فيهم. فناداني ملكُ الجبال فسَلَّمَ عليّ، ثم قال: يا محمد، فقال: ذلك فيما شئتَ؛ إن شئتَ أنْ أُطِيقَ عليهم

(١) اسم موضع بقرب مكة. والقرن كل جبل صغير منقطع من جبل كبير.

الأخشبين؟^(١) فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئاً [متفق عليه].

(١) جبلي مكة أبي قبيس ومقابله قعيقعان، سميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما، يقال رجل أخشب إذا كان صلب العظام قليل اللحم.



فكروا واجب

- (١) قرأ رسول الله ﷺ سورة النجم جهارا بمكة، فماذا حدث حينها؟ وكيف تفسر هذا الحدث العظيم؟
- (٢) هل كان إسلام عمر في أول البعثة أم تأخر؟ وهل كان مؤثرا في الدعوة الإسلامية؟
- (٣) من أساليب قريش في محاربة الرسول وأصحابه الحصار، فما مفهوم هذا الحصار وأين وقع؟
- (٤) قال تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۖ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ماذا تعرف عن آية الدخان هذه؟
- (٥) قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾، متى كانت هذه البطشة؟
- (٦) كان أبو طالب يحوط النبي ويرعاه، فعلى أي دين مات أبو طالب؟ وماذا نفعه أبو جهل وابن أبي أمية؟ وماذا نفعه الرسول؟
- (٧) عبر بأسلوبك عن أثر وفاة خديجة على رسول الله ﷺ.
- (٨) لماذا بدأ الرسول ﷺ يطوف بالقبائل خارج مكة؟
- (٩) ماذا لقي الرسول من أهل الطائف؟ وهل تركه الله تعالى حينها؟

الفصل السابع: الإسراء والمعراج

وَقَعَتْ حَادِثَةُ الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ تَسْرِيَةً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَشْيِيتًا لِفُؤَادِهِ. وَقَدْ وَصَفَ الرَّسُولُ مَا حَدَثَ لَهُ وَمَا رَأَاهُ مِنَ الْآيَاتِ وَصَفًا مُفَصَّلًا. وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْوَاقِعَةَ فِي سُورَتِي النِّجْمِ وَالْإِسْرَاءِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ ءَايَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، وَقَالَ: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ۖ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ۚ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۖ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۚ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۚ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۚ أَفَتُمَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۚ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۚ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۚ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۚ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۚ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۚ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [النجم: ٦-١٨].

يقول **أنس بن مالك**: كَانَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جَبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءٍ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِّنْ ذَهَبٍ، مِّمْتَلِئٍ

حكمة وإيماناً، فأفرغها في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء... الحديث [متفق عليه].

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «أُتيتُ بالبُرّاق، وهو دابةٌ أبيضٌ طويلٌ، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه - قال - فركبته حتى أتيت بيت المقدس - قال - فربطته بالحلقة التي يربط به الأنبياء - قال - ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناءٍ من خمر، وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل ﷺ: اخترت الفطرة.

ثم عرج بنا إلى السماء، فاستفتح جبريل، فقليل: مَنْ أنت؟ قال: جبريل، قيل: وَمَنْ معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بآدم، فرحب بي، ودعاني بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل عليه السلام، فقليل: مَنْ أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة

عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكرياء، صلواتُ الله عليهما، فَرَحَّبَا
ودَعَوَا لي بخير.

ثم عُرِجَ بي إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟
قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بعث
إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففُتِحَ لنا، فإذا أنا **بيوسف** ﷺ، إذا هو قد
أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسَيْنِ، فَرَحَّبَ ودعا لي بخير.

ثم عُرِجَ بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل عليه السلام،
قيل: مَنْ هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قال:
وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا **بإدريس**،
فرحب ودعا لي بخير، قال الله عز وجل: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾
[مريم: ٥٧].

ثم عُرِجَ بنا إلى السماء الخامسة، فاستفتح جبريل، قيل: من هذا؟
فقال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بعث إليه؟
قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا **بهارون** ﷺ، فرحب ودعا لي
بخير.

ثم عُرج بنا إلى السماء السادسة، فاستفتح جبريل عليه السلام،
 قيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل:
 وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا، فإذا أنا **بموسى** عليه السلام،
 فرحب ودعاني بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء السابعة، فاستفتح جبريل، فقيل: من
 هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد عليه السلام، قيل: وقد
 بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا **بإبراهيم** عليه السلام مُسْنِدًا
 ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدْخُلُهُ كُلُّ يوم سبعون ألف ملك
 لا يعودون إليه.

ثم ذهب بي إلى السُّدْرَةِ الْمُنتَهَى^(١)، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا
 ثمرها كالقِلال^(٢) - قال - فلما غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَّ، تَغَيَّرَتْ،
 فما أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فأوحى الله إليَّ
 ما أوحى، ففَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فنزلتُ إلى

(١) في روايات أخرى "سدره المنتهى". وهي شجر عظيمة.

(٢) جمع قلة، والقُلَّةُ جَرَّةٌ كبيرة تسع قِرْبَتَيْنِ أو أكثر.

موسى ﷺ، فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ - قال فرجعتُ إلى ربي، فقلتُ: يا رب، خفف على أمتي، فحطَّ عني خمسًا، فرجعتُ إلى موسى، فقلتُ: حطَّ عني خمسًا، قال: إنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف - قال - فلم أزل أرجعُ بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد، إنهن خمسُ صلواتٍ كل يوم وليلة، لكلِّ صلاةٍ عَشْرٌ، فذلك خمسون صلاة، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ، فَإِنْ عَمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمَلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةٌ - قال - فنزلتُ حتى انتهيتُ إلى موسى ﷺ، فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف - فقال رسول الله ﷺ - فقلتُ: قد رَجَعْتُ إلى ربي حتى استَحْيَيْتُ مِنْهُ [البخاري].

ولما حكى الرسول ما حدث لقريش كذبوه كعادتهم رغم أنهم هم الذين طلبوا الآيات المعجزات الدالة على نبوته! روى جابر عن

النبى ﷺ قال: «لما كَذَّبْتَنِي قَرِيْشَ، قَمْتُ فِي الْحِجْرِ، فَجَلَا اللهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدَسِ، فَطَفِقْتُ أَخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ» [متفق عليه].

وعن أبى إسحاق الشيباني قال: سألتُ زَرَّ بنَ حُبَيْشٍ عن قول الله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ^(١) أَوْ أَدْنَىٰ ۖ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ ۖ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ٩-١٠]؟ قال: حدثنا ابن مسعود: أنه - أي النبي - رأى جبريلَ له سِتْمَاءَةٌ جَنَاحَ [متفق عليه].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، في قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] قال: هي رؤيا عَيْنٍ، أَرِيهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ، قال: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ قال: هي شجرة الزَّقُّومِ [البخاري].

(١) أي قَدَر قوسين، أو قدر ما بين الوتر والقوس، أو ما بين طرفي القوس.

فكّروا جواب



- (١) ما المقصود بالإسراء والمعراج؟ وماذا تعرف من الحِكم من ورائه؟
- (٢) ما الوسيلة التي أسرى بها النبي إلى بيت المقدس؟
- (٣) من الأنبياء الذين لقيهم الرسول ﷺ في رحلته؟
- (٤) رأى رسول الله ﷺ شجرة عظيمة في رحلته، فهل تستطيع أن تصفها؟ وهل يوجد مثلها على الأرض؟
- (٥) تتميز الصلاة عن باقي أركان الإسلام بأنها فرضت في مقام مخصوص، وضح ذلك.
- (٦) بم نصّح موسى نبينا ﷺ؟ ولماذا؟
- (٧) هل تعد الخمس الصلوات المكتوبة أمراً شاقاً على المسلم؟
- (٨) ما هو أجر الصلوات الخمس عند الله تعالى؟
- (٩) لم يصدق المشركون النبي ﷺ حين حكى لهم ما حدث، فبم أجابهم حينئذ ليصدقوه؟ وهل صدقوه فعلاً؟
- (١٠) كانت حادثة الإسراء والمعراج فتنة للناس، كيف ذلك؟

الفصل الثامن: بين الإسراء والهجرة النبوية

إسلام الجن

كان سماعُ الجنِّ للقرآنِ وإسلامُهم حَدَثًا هائلًا بعد الإسراء.

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ^(١)، وقد حِيلَ بين الشياطين وبين خبر السماء، وأُرْسِلَتْ عليهم الشُّهُبُ، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حِيلَ بيننا وبين خبر السماء، وأُرْسِلَتْ علينا الشُّهُبُ، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا شيءٌ حَدَثَ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء.

فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة، عامدين إلى سوق عكاظ، وهو يُصَلِّي بأصحابه صلاة

(١) سوق بصحراء بين نخلة والطائف كانت تقوم هلال ذي القعدة وتستمر

عشرين يوما تجتمع قبائل العرب فيتعاكضون أي يتفاخرون ويتناشدون.

الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء! فهناك حين رَجَعُوا إلى قومهم وقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الْرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۚ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾، فأنزل الله على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١-٢] وإنما أُوحي إليه قول الجن [متفق عليه]. وفي رواية مسلم: ما قرأ رسولُ الله ﷺ على الجنِّ وما رآهم.

وعن مَعْنُ بن عبد الرحمن قال: سمعتُ أبي قال: سألتُ مسروقاً: مَنْ آذَنَ^(١) النبي ﷺ بالجنِّ ليلة استمعوا القرآن؟ فقال: حدثني أبوك - يعني عبد الله - أنه آذَنَتْ بهم شجرةٌ [مسلم].

وفد يثرب وبيعة العقبة

وقد ذَكَرَتِ الأخبارُ عَرَضَ النبي ﷺ نَفْسَهُ عَلَى الْقَبَائِلِ فِي مَوْسَمِ الْحَجِّ.

(١) أَي مَنْ أَعْلَمَ؟

وقد أراد الله نُصرة نبيّه وإعزاز دينه، فقيّض للإيمان به طائفة من أهل يثرب التقوا رسول الله ﷺ في موسم الحج، فبايعوه على الإسلام.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

ويروي غيلان بن جرير قال: قلت لأنس: أرأيت اسم الأنصار، كنتم تسمون به، أم سماكم الله؟ قال: بل سمانا الله عز وجل. وقال: كنّا ندخل على أنس، فيحدثنا بمناقب الأنصار، ومشاهدتهم، ويُقبل عليّ، أو على رجلٍ من الأزد، فيقول: فعل قومك يوم كذا وكذا كذا وكذا [البخاري].

وكان الأوس والخزرج يتقاتلون بينهم في الجاهلية، وكان قتالهم في مكان قريب من المدينة هو بُعث، فجاء النبي ﷺ بالإسلام فأنقذهم مما كانوا فيه من الضلال والافتتال.

تصف عائشة ذلك فتقول رضي الله عنها: كان يومٌ بُعِثَ يومًا قَدَّمَهُ اللهُ لِرَسُولِهِ ﷺ^(١)، فَقَدِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وقد افترقَ مَلَأُهم^(٢)، وَقَتَلَتْ سَرَوَاتِهِمْ^(٣)، وَجُرِحُوا، فَقَدَّمَهُ اللهُ لِرَسُولِهِ ﷺ في دخولهم في الإسلام [البخاري].

وكان أول دخولهم الإسلام عن طريق مبايعة وفدٍ يثرب إلى مكة النبي ﷺ. يحكي **عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ** رضي الله عنه - وكان شَهِيدَ بَدْرًا وهو أحدُ النُّبَّاءِ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ - مَوْقِفَ الْبَيْعَةِ مُحَدِّثًا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال وحواله عِصَابَةٌ^(٤) مِنْ أَصْحَابِهِ: «بَايَعُونِي عَلَى أَنْ لَا تَشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبَهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَّى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا

(١) أَي هَيَّأَهُ اللهُ لِرَسُولِهِ لِيُؤْمِلَ قُلُوبَ أَهْلِ يَثْرِبَ إِلَيْهِ.

(٢) أَي تَفَرَّقَ مَجْمُوعُهُمْ.

(٣) أَي خَيَّرَهُمْ وَأَشْرَفَهُمْ.

(٤) الْعِصَابَةُ الْجَمَاعَةُ.

فهو كفّارٌ له، ومَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ،
إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ» فبايعناه على ذلك [متفق عليه].



فكّروا جواب

- (١) كيف شعرت الجن ببعثة رسول الله ﷺ؟
- (٢) قارن بين أثر سماع القرآن على الجن وأثره على قريش.
- (٣) هل يخاطب القرآن الجن والإنس أم الإنس فقط؟
- (٤) عرض الرسول ﷺ نفسه على القبائل، فماذا كان يطلب منها؟
- (٥) عرض الرسول ﷺ نفسه على قبائل كثيرة، فهل استجابوا كلهم له؟ وماذا تستفيد من ذلك في دعوتك؟
- (٦) كان أهل يثرب مُتهيئين لقبول دعوة الرسول ﷺ، فلماذا؟
- (٧) علام بايع الرسول ﷺ أهل يثرب ليلة العقبة؟ وهل كانوا صادقين في بيعتهم له؟

الفصل التاسع: بدء الهجرة إلى المدينة

لقد اختار الله تعالى لنبيه دارَ هِجْرَتِهِ، فأراه إياها في المنام، ورؤيا النبي ﷺ حَقٌّ، كما تقدم في حديث عائشة الذي حكّت فيه قصة الهجرة: ... فقال رسولُ الله ﷺ: «قد أُرِيتُ دارَ هِجْرَتِكُمْ، رأيتُ سَبْخَةً^(١) ذاتَ نَخْلٍ بينَ لَابَتَيْنِ^(٢)»، وهما الحَرَّتَانِ، فهاجرَ مَنْ هاجرَ قَبْلَ المدينة حينَ ذَكَرَ ذلكَ رسولُ الله ﷺ، وَرَجَعَ إلى المدينة بعضُ مَنْ كانَ هاجرَ إلى أرضِ الحبشة... الحديث [البخاري].

وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «رأيتُ في المنام أني أهاجرُ مِنْ مَكَّةَ إلى أرضٍ بها نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي^(٣) إلى أنها اليمامةُ أو هَجَرُ^(٤)»، فإذا هي المدينةُ يَثْرِبُ [متفق عليه].

(١) هي الأرض التي لا تكاد تُنبت لما يعلوها من الملوحة.

(٢) اللابتان تفسيرها في الحديث أنهما الحرّتان، والحرّة أرض ذات حجارة

سوداء، كأنها احترقت بِحَرِّ النار!

(٣) أي ظني.

(٤) مدينة من اليمن.

وقد لبَّى الصحابةُ رضوان الله عليهم النداء؛ يريدون الله ورسوله، مُتَمَثِّلِينَ قولَ الرسول الكريم: «**إنما الأعمال بالنيات**»، وإنما لكلِّ امرئٍ ما نوى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ». وفي رواية: «الأعمال بالنية، ولكلِّ امرئٍ ما نوى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ» [متفق عليه].

وكان في هجرتهم تضحيةٌ كبيرة، حيثُ تَرَكَوا الأهلَ والمالَ وفَرُّوا بدينهم من فتنة قريش إلى الرسول في يثرب. فمنهم مَنْ عاش حتى رأى بعينه نصرَ الله والفتح واستقرار دولة الإسلام في المدينة وتعاظُمَ الفِئَةِ والخيرِ على الرسول وأصحابه، ومنهم مَنْ ماتَ في الفترة الأولى من قيام الدولة، وكانت فترةً شِدَّةٍ وبَأْسٍ وحربٍ وضيقٍ في العيش.

ويَصِفُ **خَبَّابُ بْنُ الْأَرْتِّ** رضي الله عنه ذلك فيقول: هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نَرِيدُ وَجَهَ اللَّهِ، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَى اللَّهِ. فَمِنَّا مَنْ مَضَى لَمْ يَأْخُذْ

مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ **مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ**، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ نَمِرَةً^(١)، فَكُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ بَدَتْ رِجْلَاهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا رِجْلَيْهِ بَدَا رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ نُغَطِّيَ رَأْسَهُ وَنَجْعَلَ عَلَى رِجْلَيْهِ شَيْئًا مِنْ إِذْخِرٍ^(٢). وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ فَهُوَ يَهْدِيهَا^(٣) [متفق عليه].

وَقَدْ ظَلَّ أَمْرُ الْهَجْرَةِ قَائِمًا حَتَّى فَتَحَ الرَّسُولُ ﷺ مَكَّةَ، فَصَارَتْ دَارَ إِسْلَامٍ؛ يَقُولُ **عَطَاءُ بْنُ أَبِي رِبَاحٍ**: زَرْتُ **عَائِشَةَ** مَعَ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيِّ، فَسَأَلْنَاهَا عَنِ الْهَجْرَةِ فَقَالَتْ: لَا هَجْرَةَ الْيَوْمَ، كَانَ الْمُؤْمِنُونَ يَفِرُّ أَحَدُهُمْ بِدِينِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ، مَخَافَةَ أَنْ يُفْتَنَ عَلَيْهِ^(٤)، فَأَمَّا الْيَوْمُ فَقَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ، وَالْيَوْمَ يَعْبُدُ رَبَّهُ حَيْثُ شَاءَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ^(٥) [متفق عليه].

(١) كسَاء ملون مخطط.

(٢) هو حشيش معروف طيب الرائحة.

(٣) يجنيها ويقطفها، أي يتمتع بثمرة هجرته في الدنيا قبل الآخرة.

(٤) أي يُعَذَّب حتى يَرْجِعَ عَنْ دِينِهِ.

(٥) أي يجاهد في سبيل الله لأن الجهاد لا ينقطع إلى يوم القيامة. والنية للجهاد تقوم مقامه إذا تَعَذَّرَ.

وكانت الهجرة بعد بعثة النبي ﷺ بثلاث عشرة سنة، كما روى ابن عباس رضي الله عنهما: بُعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يُوحى إليه، ثم أُمِرَ بالهجرة فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين [متفق عليه].

وقد شَرَّفَ اللهُ أبا بكر بصُحبة النبي ﷺ في الهجرة، ولا زال يذكرها له رسول الله، كما روى عنه أبو سعيد الخدري في آخر حياته: «إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ^(١) عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أبا بكر، ولو كنتُ متخذًا خليلاً من أمتي لاتخذتُ أبا بكر، إلا خُلةَ الإسلام، لا يَبْقَيْنَ في المسجد خَوْخَةٌ^(٢) إلا خَوْخَةٌ أبي بكر» [متفق عليه].

(١) أي أكثرهم فضلاً وعطاءً في صحبته وماله.

(٢) مكان المرور والباب الصغير بين البيتين ونحوه.



فكّروا جواب

- (١) لقد كانت الهجرة إلى المدينة نقطة فاصلة بين مرحلتين في السيرة النبوية، كيف ذلك؟
- (٢) كيف تُشَبَّه الهجرة التي قام بها المسلمون في عصرنا؟ صف حالتك النفسية والعملية كأنك مهاجر مثلهم.
- (٣) يرسل الله لعبده المؤمن أمارات على الأحداث المستقبلية، ليهيئه ويبشره ويروح عنه. مثل لذلك من سيرة النبي ﷺ.
- (٤) الذين هاجروا من مكة إلى المدينة سموا كلهم مهاجرين، لكن منزلتهم عند الله ليست واحدة. فكيف ذلك؟
- (٥) من المؤمنين من ظل بمكة ولم يستطع الهجرة، فهل يستوي في المرتبة والثواب مع من هاجر؟
- (٦) هل ظفر جميع من هاجر إلى المدينة بالنصر على المشركين؟

الفصل العاشر: حديث الهجرة

لقد عاصرت عائشة رضي الله عنها قصة الهجرة مفصلة وروتها لنا، وقد ذكرنا أجزاء منها فيما مضى.

وقد ذكر الله نصرته للنبي وصاحبه أبي بكر في الهجرة فقال مُذَكِّرًا ومُحَذِّرًا المؤمنين: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

تقول عائشة رضي الله عنها فيما رواه ابن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير عنها: ... فقال النبي ﷺ للمسلمين: «إني أريت دار هجرتكم، ذات نخل بين لابتين^(١)»، وهما الحرتان، فهاجر من

(١) اللابتان تفسيرها في الحديث أنها الحرتان، والحرّة أرض ذات حجارة

سوداء، كأنها احترقت بحرّ النار!

هاجرَ قِبَلَ المدينة، وَرَجَعَ عَامَّةً مَنْ كَانَ هَاجِرَ بِأَرْضِ الْحَبْشَةِ إِلَى
المدينة.

وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قِبَلَ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَى
رِسْلِكَ^(١)، فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤْذَنَ لِي» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ
بَأَبِي أَنْتَ؟ قَالَ: «نَعَمْ». فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
لِيَصْحَبَهُ، وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ كَانَتَا عِنْدَهُ وَرَقَ السَّمْرِ، وَهُوَ الْخَبْطُ^(٢)،
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ
الْظَهِيرَةِ^(٣)، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَقَنَّعًا^(٤)، فِي سَاعَةٍ
لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي! وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ
فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ. قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ

(١) أي اتند ولا تعجل.

(٢) نوع من الشجر.

(٣) أول الزوال عند شدة الحر.

(٤) مغطيا رأسه (للتخفي).

له فَدْخَلَ، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: «أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ». فقال أبو بكر: إنما هم أهلُك^(١)، بأبي أنت يا رسول الله! قال: «فإني قد أُذِنَ لي في الخروج». فقال أبو بكر: الصَّحَابَةُ^(٢) بأبي أنت يا رسول الله؟ قال رسول الله ﷺ: «نعم». قال أبو بكر: فَخُذْ - بأبي أنت يا رسول الله - إحدى راحِلَتَيَّ هاتين، قال رسول الله ﷺ: «بِالْثَمَنِ». قالت عائشة: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحْتَّ^(٣) الجهاز، وصَنَعْنَا لهما سُفْرَةً في جِرَابٍ^(٤)، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا، فَرَبَطَتْ به على فَمِ الجراب، فبذلك سُمِّيت ذات النِّطَاقِينَ.

قالت: ثم لَحِقَ رسولُ الله ﷺ وأبو بكر بغارٍ في جبل ثَوْرٍ، فَكَمْنَا^(٥) فيه ثلاثَ لَيَالٍ، يَبِيتُ عندهما عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، وهو

(١) أي لا أحد غريب يُشَكُّ فيه، فإنما هي عائشة، وأسماء.

(٢) أي الصحبة، أريد مصاحبتك يا رسول الله.

(٣) أسرع تجهيز.

(٤) السفرة: الزاد الذي يُصنع للمسافر. والجراب: وعاء يحفظ فيه الزاد.

(٥) مكثا متخفين.

غلامٌ شاب، ثَقِفَ لَقْنٌ^(١)، فَيُدْلِجُ مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مع قريش بمكة كَبَائِتٍ^(٢)، فلا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ^(٣) إلا وعاه، حتى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حين يَخْتَلِطُ الظلامُ. وَيَرْعَى عليهما **عامرُ بنُ فُهَيْرَةَ** مولى أبي بكرٍ مَنَحَةً مِنْ غَنَمٍ^(٤)، فَيُرِيحُهَا عليهما^(٥) حين تذهبُ ساعةٌ مِنَ العِشاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسلٍ، وهو لبنٌ مَنَحَتْهُمَا وَرَضِيفُهُمَا^(٦)، حتى يَنَعِقَ بها عامرُ بنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ^(٧)، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كل ليلةٍ مِنْ تلك الليالي الثلاث.

(١) حاذق فطن، سريع الفهم حسن التلقي.

(٢) يخرج وقت السحر منصرفاً إلى مكة، فكأنه كان بائناً مع أهل مكة فلا يعلمون بخروجه.

(٣) يُدَبِّرُ بِشَأْنِهِمَا ويمكر به لهما.

(٤) المنحة: الناقة أو الشاة يُعْطَى لبنُها، ثم جُعِلَتْ كُلُّ عطيةٍ منحة. وكذلك تطلق على كل شاة.

(٥) فيريحها: من الرواح وهو السير في العشي.

(٦) الرّسل: اللبن الطري. والرضيف: اللبن الذي جُعل فيه الرضفة، وهي الحجارة المحماة لتذهب وخامته وثقله. وقيل الرضيف الناقة المحلوبة.

(٧) حتى يصيح بغنمه بغلَس، هو ظلام آخر الليل.

واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدليل، وهو من بني عبد بن عدي، هادياً خريّتا - والخريّت الماهر بالهداية - قد غمَسَ حِلْفاً^(١) في آل العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش، فأمناه فدفعا إليه راحلتيهما، وواعدها غار ثور بعد ثلاث ليالٍ، براحليتهما صبح ثلاث، وانطلق معها عامر بن فهيرة، والدليل، فأخذ بهم طريق السواحل.

قال ابن شهاب: وأخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي، وهو ابن أخي سراقه بن مالك بن جعشم، أن أباه أخبره أنه سمع سراقه يقول: جاءنا رُسُلُ كفار قريش، يجعلون في رسول الله ﷺ وأبي بكر دية كل واحد منهما، مَنْ قَتَلَهُ أو أَسْرَهُ^(٢). فبينما أنا - أي سراقه - جالسٌ في مجلس من مجالس قومي بني مدلج، أقبل رجلٌ منهم،

(١) أي حالفهم، وكانوا يغمسون أيديهم في جفنة من طيب أو دم.

(٢) أي يرصدون مكافأة لمن قتل أو أسر النبي وأبا بكر، مقدارها دية الرجل الكاملة. ومقدار الدية الشرعية مائة من الإبل، وعلى أهل البقر مائتا بقرة، وعلى أهل الغنم ألفا شاة، وعلى أهل الذهب ألف دينار.

حتى قام علينا ونحن جلوس، فقال: يا سراقه، إني قد رأيتُ آنفًا أسودَّةً^(١) بالساحل، أراها محمدًا وأصحابه، قال سراقه: فعرفتُ أنهم هم، فقلتُ له: إنهم ليسوا بهم، ولكنك رأيتَ فلانا وفلانا، انطلقوا بأعيننا. ثم لبثتُ في المجلس ساعة، ثم قمتُ فدخلتُ فأمرتُ جاريتي أن تخرجَ بفرسي، وهي من وراء أكمة^(٢)، فتحبسها عليّ، وأخذتُ رُحمي، فخرجتُ به من ظهر البيت، فحططتُ بزُجّه^(٣) الأرض، وخفضتُ عاليه، حتى أتيتُ فرسي فركبتُها، فرفعتها تُقربُ بي^(٤)، حتى دنوتُ منهم، فعثرتُ بي فرسي، فخررتُ عنها، فُقيمتُ فأهويتُ يدي إلى كِنانتي، فاستخرجتُ منها الأزام

(١) أشخاصًا.

(٢) رابية مرتفعة عن الأرض.

(٣) الزُجّ: الحديدية التي تكون في أسفل الرمح.

(٤) تسير سيرًا دون العدو وفوق العادة. أو تسير فترفع يديها معا وتضعها معا.

فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا^(١): أَضُرُّهُمْ أَمْ لَا؟ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَرَكِبْتُ
فَرَسِي، وَعَصَيْتُ الْأَزْلَامَ، تُقَرَّبُ بِي، حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ
اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ لَا يَلْتَفْتُ، وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الِالْتِفَاتِ، سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي
فِي الْأَرْضِ، حَتَّى بَلَّغْتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَزْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا
فَنَهَضَتْ، فَلَمْ تَكْذُ تُخْرِجْ يَدَيَّهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً، إِذَا لِأَثَرِ يَدَيَّهَا
عُثَانٌ سَاطِعٌ^(٢) فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ، فَخَرَجَ
الَّذِي أَكْرَهُ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ، فَوَقَفُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ،
وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الْحَبْسِ عَنْهُمْ، أَنْ سَيَظْهَرُ
أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَّةَ،
وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ،
فَلَمْ يَرْزَأْنِي^(٣) وَلَمْ يَسْأَلَانِي، إِلَّا أَنْ قَالَ: «أَخْفِ عَنَّا». فَسَأَلْتُهُ أَنْ

(١) الاستقسام بالأزلام هو طلبُ معرفة ما قُسم. وهو من الشرك. والأزلام
سهامٌ لا ريش لها ولا نصل، مكتوبٌ عليها "لا" - "نعم"، فكانوا في الجاهلية إذا
أرادوا أمراً ضَرَبُوا بها؛ فَإِنْ خَرَجَ "لا" تَرَكُوا، وَإِنْ خَرَجَ "نعم" فَعَلُوا.

(٢) دخان من غير نار، منتشر في السماء.

(٣) لم يأخذوا مني شيئاً ولم ينقصوا مالي.

يكتب لي كتاب آمن، فأمر عامر بن فهيرة، فكتب في رُقعة من أديم^(١)، ثم مضى رسول الله ﷺ.

ويروي أنس بن مالك جانباً مما حدث لهما في طريق الهجرة فيقول: أقبل نبيُّ الله ﷺ إلى المدينة وهو مُردِفُ أبا بكر^(٢)، وأبو بكر شيخٌ يُعرف، ونبيُّ الله ﷺ شابٌ لا يُعرف، فيلقى الرجلُ أبا بكرٍ فيقول: يا أبا بكر مَنْ هذا الرجلُ الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ، قال: فَيَحْسِبُ الحَاسِبُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي الطريق، وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الخِير.

فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارسٍ قد لحقهم^(٣)، فقال: يا رسول الله، هذا فارسٌ قد لحق بنا! فالتفت نبيُّ الله ﷺ، فقال: «اللهم اصْرَعْهُ»^(٤)، فصرعه الفرس، ثم قامت تُحْمِجُ^(١)، فقال: يا نبي الله،

(١) الجلد المدبوغ.

(٢) أي أبو بكر راكب على الراحلة خلفه.

(٣) هو سراقه بن مالك.

(٤) اطرحه على الأرض واكفنا شره.

مُرني بما شئت، قال: «فَقِفْ مَكَانَكَ، لَا تَتْرُكَنَّ أَحَدًا يَلْحَقُ بِنَا».
 قال: فكان أول النهارِ جَاهِدًا على نبي الله ﷺ، وكان آخر النهارِ
 مَسْلَحَةً له^(٣).

قدوم النبي المدينة

قال ابن شهاب: فأخبرني **عروة بن الزبير**، أن رسول الله ﷺ لقي
 الزبير في رَكْبٍ من المسلمين، كانوا تِجَارًا قافلين من الشام، فكسا
 الزبير رسول الله ﷺ وأبا بكر ثيابَ بياضٍ.

وسمع المسلمون بالمدينة مَخْرَجَ رسول الله ﷺ من مكة، فكانوا
 يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ، فينتظرونه حتى يَرُدَّهُمْ حُرُّ الظَّهِيرَةِ.
 فانقلبوا يومًا بعد ما أطلوا انتظارهم، فلما أَوَوْا إلى بيوتهم، أَوْفَى
 رجلٌ من يَهُودَ عَلَى أُطْمٍ من آطَامِهِمْ^(٣)، لأمرٍ ينظرُ إليه، فبَصَرَ

(١) من الحمحمة وهي صوت الفرس.

(٢) حارسًا له بسلاحه، والمسلحة هم القوم يُعَدُّون بالسلاح لحراسة الجيش.

(٣) حصن من حصونهم.

برسول الله ﷺ وأصحابه مُبَيِّضِينَ يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ^(١)، فلم يملك اليهودي أن قال بأعلى صوته: يا معاشر العرب! هذا جدُّكم الذي تنتظرون^(٢)، فثار المسلمون إلى السلاح، فتلقَّوا رسول الله ﷺ بظهر الحرَّة، فعَدَلَ بهم ذات اليمين، حتى نَزَلَ بهم في بني عمرو ابن عوف، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الأول.

فقام أبو بكر للناس، وجلس رسول الله ﷺ صامتًا، فطَفِقَ مَنْ جاء مِنَ الْأَنْصَارِ - ممن لم ير رسول الله ﷺ - يُحْيِي أبا بكر، حتى أصابت الشمسُ رسول الله ﷺ، فأقبل أبو بكر حتى ظلَّ عليه بردائه، فعرفَ الناسُ رسول الله ﷺ عند ذلك.

فلبِثَ رسولُ الله ﷺ في بني عمرو بن عوف بِضْعَ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ، وَأُسِّسَ الْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى^(٣)، وَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ

(١) يزول السراب عن النظر بسبب عُروضهم له، أو يظهرون في السراب تارة ويختفون أخرى.

(٢) الجَدُّ الحَظُّ، أي هاهو حَظُّكُمْ وصاحبُ دَوْلَتِكُمْ الذي تتوقعون مجيئه.

(٣) الذي بُني من أجل عبادة الله عز وجل الخالصة، وهو مسجد قُباء.

الله ﷺ، ثم ركبَ راحلته، فسار يمشي معه الناس، حتى بَرَكَتْ عند مسجد الرسول ﷺ بالمدينة^(١)، وهو يصلي فيه يومئذ رجالٌ من المسلمين، وكان مِرْبَدًا للتمر^(٢)، لُسْهَيْلٍ وَسَهْلٍ، غلامين يتيمين في حِجْرِ أَسْعَدِ بْنِ زُرَّارَةَ، فقال رسول الله ﷺ حين بَرَكَتْ به راحلته: «هذا إن شاء الله المنزل». ثم دعا رسولُ الله ﷺ الغلامين فساوَمَهُمَا^(٣) بِالْمِرْبَدِ لِيَتَّخِذَهُمَا مَسْجِدًا، فقالا: لا، بل نَهْبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هَبَةً حَتَّى ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا، ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا. وَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبَنَ فِي بُنْيَانِهِ، وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبَنَ: «هَذَا الْحِمَالُ لَا حِمَالُ خَيْرٌ»^(٤)، هَذَا أَبْرُ رَبَّنَا وَأَطْهَرُ، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجْرَ أَجْرُ الْآخِرَةِ، فَارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ» فَتَمَثَّلَ^(٥) بِشَعْرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يُسَمَّ لِي. قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَلَمْ يَبْلُغْنَا فِي

(١) أي في المكان الذي بني عليه فيما بعد مسجد الرسول ﷺ.

(٢) الموضع الذي يجفف فيه التمر.

(٣) طلب منهما أن يبيعه المربد ويذكرا ثمنًا له.

(٤) لا ما يُحْمَلُ من خيبر من التمر ونحوه.

(٥) أي أنشد البيت المذكور ضاربًا به المثل.

الأحاديث أن رسول الله ﷺ تمثل بيت شعر تام غير هذا البيت [البخاري].

ويروي أنس بن مالك جانباً من قدوم النبي ﷺ فيقول: فنزل رسول الله ﷺ جانب الحرّة^(١)، ثم بعث إلى الأنصار ف جاءوا إلى نبي الله ﷺ وأبي بكر فسلموا عليهما، وقالوا: اركبا آمينين مطاعين. فركب نبي الله ﷺ وأبو بكر، وحفوا^(٢) دونهما بالسلاح، فقبل في المدينة: جاء نبي الله! جاء نبي الله! فأشرفوا^(٣) ينظرون ويقولون: جاء نبي الله! جاء نبي الله!

فأقبل يسير حتى نزل جانب دار أبي أيوب، فإنه ليحدث أهله إذ سمع به عبد الله بن سلام، وهو في نخل لأهله يخترق لهم^(٤)، فعجل

(١) أرض ذات حجارة سوداء.

(٢) أحدقوا وأحاطوا.

(٣) اطلعوا من فوق السطوح ونحوها.

(٤) يجتني من الشار.

أَنْ يَضَعَ الَّذِي يَخْتَرِفُ لَهُمْ فِيهَا، فَجَاءَ وَهِيَ مَعَهُ^(١)، فَسَمِعَ مِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ.

فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّ بَيْوتِ أَهْلِنَا^(٢) أَقْرَبُ؟». فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: أَنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هَذِهِ دَارِي وَهَذَا بَابِي، قَالَ: «فَانْطَلِقْ فَهَيِّئْ لَنَا مَقِيلًا^(٣)»، قَالَ: قَوْمًا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ.

فَلَمَّا جَاءَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّكَ جِئْتَ بِحَقٍّ، وَقَدْ عَلِمْتُ يَهُودُ أَنِّي سَيِّدُهُمْ وَابْنُ سَيِّدِهِمْ، وَأَعْلَمُهُمْ وَابْنُ أَعْلَمِهِمْ، فَادْعُهُمْ، فَاسْأَلْهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ، فَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ قَالُوا فِيَّ مَا لَيْسَ فِيَّ. فَأَرْسَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَأَقْبَلُوا فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ، وَيْلَكُمْ! اتَّقُوا اللَّهَ، فَوَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقٍّ،

(١) أي من عجلته جاء وفي يده الوعاء الذي كان يضع فيه الثمار.

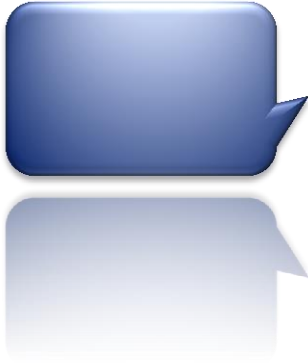
(٢) قرابتنا، لأن جدته ﷺ من بني النجار.

(٣) مكانا يَقيَل فيه، من القيلولة، وهي النوم وسط النهار.

فأسلموا»، قالوا: ما نَعْلَمُهُ! قالوا للنبي ﷺ، قالها ثلاث مرار، قال: «فأيُّ رجلٍ فيكم عبدُ الله بن سلام؟» قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا، قال: «أفرايتم إن أسلم؟»، قالوا: حاشى لله^(١) ما كان ليُسلم، قال: «أفرايتم إن أسلم؟» قالوا: حاشى لله ما كان ليُسلم، قال: «أفرايتم إن أسلم؟»، قالوا: حاشى لله ما كان ليُسلم، قال: «يا ابنَ سَلام، اُخْرِجْ عليهم»، فخرج فقال: يا معشرَ اليهود اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو، إنكم لتَعْلَمون أنه رسولُ الله، وأنه جاء بِحَقٍّ، فقالوا: كَذَبْتَ، فأخرجهم رسول الله ﷺ [البخاري].

(١) كلمة تقال للتنزيه ومعناها تنزيهاً لله وبراءةً لله.

فكروا جواب



- (١) لقد أسري بالرسول ﷺ من مكة إلى بيت المقدس في لمح البصر، فلماذا تركه الله تعالى يتكبد مشقة الهجرة من مكة إلى المدينة في ثلاثة أيام؟
- (٢) تتجلى عبقرية التخطيط النبوي في الهجرة، اذكر ما تستحضره من مظاهره.
- (٣) من هي ذات النطاقين؟ ولم سميت بذلك؟
- (٤) لقد كتم الرسول ﷺ أمر هجرته عن كل الناس، فهل كتمه عن زوجته وأختها وأخيها؟ وماذا تستفيد من ذلك؟
- (٥) من الدليل الذي استأجراه في الهجرة؟ وعلى أي دين كان؟
- (٦) كان سراقاة أول يومه محارباً للرسول، ثم صار آخر يومه مجاهداً مدافعاً عنه، ما سر هذا التحول؟
- (٧) لقد رصدت قريش كل ما تملك لمنع النبي ﷺ من الهجرة، فهل تمكنت من ذلك؟ ولماذا؟
- (٨) لقد انتصر الرسول ﷺ بالجهد البشري ومن ورائه التأيد الرباني. وضح هذه العبارة.
- (٩) روت عائشة قصة الهجرة مفصلة في حديث طويل، فهل تذكر قصة أخرى روتها مفصلة في حديث طويل؟

فهرس المحتويات

٦١	الفصل الرابع: موقف قريش من دعوة النبي
٦١	مساومة قريش للنبي ﷺ
٦٣	افتراء قريش واستهزاؤهم وتعنتهم وطلبهم الآيات
٦٨	اشتداد إيذاء قريش للنبي وأصحابه
٧٧	الفصل الخامس: الهجرة إلى الحبشة
٨٧	الفصل السادس: بين الهجرة والإسراء
٨٧	سورة النجم
٨٧	إسلام عمر بن الخطاب
٨٩	حصار الشعب
٩٠	القحط والدخان
٩١	وفاة أبي طالب
٩٣	وفاة خديجة رضي الله عنها
٩٣	رحلة الطائف - بداية تأسيس الدولة
٩٧	الفصل السابع: الإسراء والمعراج
١٠٥	الفصل الثامن: بين الإسراء والهجرة النبوية
١٠٥	إسلام الجن
١٠٦	وفد يثرب وبيعة العقبة
١١١	الفصل التاسع: بدء الهجرة إلى المدينة
١١٧	الفصل العاشر: حديث الهجرة
١٢٥	قدوم النبي المدينة
١٣٢	فهرس المحتويات

هذا الكتاب منشور في



